الفصل التاسع

قوة الإيمان

أنا مثل معظم الناس تربيت على احترام العلم والعلماء. أبي كان مهندساً وأخي عالماً. وكنت أحسب أن كل شخص يريد أن يرى دليلاً قبل أن يؤمن. ولكني كنت على خطأ.

لقد تعلمت أن العديد من الناس يؤمنون تماماً بما يعلّمه الدين وبما يعتقد به حزبهم السياسي وبما يقوله أصدقاؤهم أو بما يجعلهم يشعرون شعوراً طيباً.

خرافة: إن الترفع الحروري في الأرض سوف يوقع أشكالاً من الفوضى في الطقس، ويسبب حدوث عواصف أكثر وفيضاناتٍ في الشواطئ وإن على أمريكا أن توقع معاهدة كيوتو.
حقيقة: هذه الخرافة ينبغي أن تنقسم إلى أربعة أقسام.

خرافة 1: ترتفع حرارة الأرض.
حقيقة: ترتفع حرارة الأرض.

هذا صحيح. وتقول هيئة Ipcc (وهي هيئة قائمة بين الحكومات تدرس تغيرات الطقس) إن معدل حرارة سطح الأرض ازداد 0.6 درجة سيلسيوس في القرن العشرين.

خرافة 2: تزداد حرارة الأرض بسببنا!.
حقيقة: ربما.

obeikandl.com

إن كان حرقنا لما يستخرج من الأرض من فحم هو سبب تسخين الأرض فإن ذلك يبدو غير معقول. إن نصف الترفع الحروري حصل في القرن الماضي من عام 1900 إلى عام 1945. ولو كان الإنسان مسؤولاً لم لم يحدث مزيد من التسخين في النصف الثاني من القرن. لقد أحرقنا وقوداً أكثر بكثير في هذه المدة. ماذا عن ذلك؟ ماذا؟ أنت لا تسمع منذري البيئة يتحدثون عن ذلك..

إن الأرض في اتجاه ارتفاع حرارة تدريجي ناتج عما يسميه العلماء «عصر الجليد الصغير» والذي انتهى عام 1800. إن طقسنا كان دائماً يخضع لتغيرات ومن الغرور أن نفكر أن التأثير الإنساني هام جداً بالمقارنة مع التاريخ الجيولوجي المخيف للأرض. والرسم البياني عن درجات الحرارة في الأربعة آلاف سنة الأخيرة يبين أن سخونة الأرض الآن ليست بالأمر العظيم.

درجات الحرارة في 4000 سنة الأخيرة

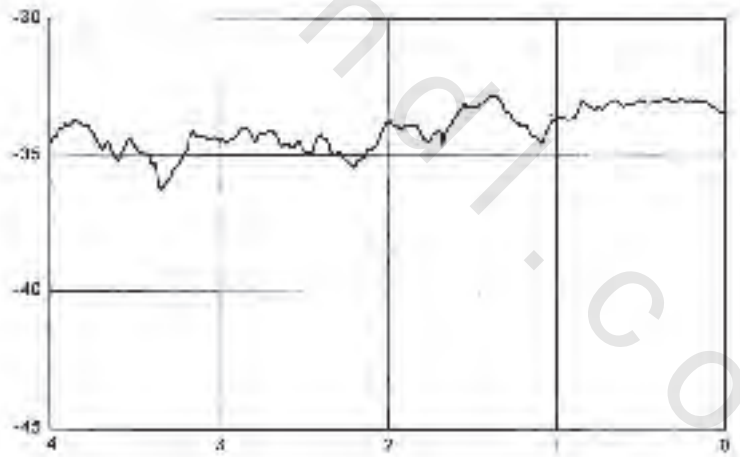

خرافة3: سيكون هناك عواصف، وفيضانات على الشواطئ واضطراب كبير جداً في الطقس.

حقيقة: قد لا يحدث ذلك.

obeikandl.com

كان أطفال المدارس الذين أجريت معهم مقابلات مقتنعين أن أمريكا «تموت» في بحر من التلوث و«المدن ستصبح قريباً تحت الماء!».

حذر محامون من مجلس الدفاع عن الموارد الطبيعية وهي (جماعة بيئية أخرى تضم محامين أكثر من علماء) من أن «مستويات البحر سوف ترتفع وتغمر مناطق الشواطئ. وأمواج الحر سوف تكون أكثر تواتراً وأكثر حدة. وسوف يزداد حدوث جفاف وحرائق هائلة».

ياللفظاعة.

ولكن كثيراً من العلماء يضحكون من هذا الذعر.

يقول الدكتور جون كريستي أستاذ علم المناخ في جامعة آلاباما في هانتسفيل: «أنا أذكر عندما كنت طالباً في الجامعة، أول مرة احتفل فيها بيوم الأرض أُخبرنا أن من المؤكد في عام 2000 سيكون العالم جائعاً وقد فقد طاقته. نبوءات يوم الحساب هذه تخاطفتها عناوين الصحف آنذاك ولكن ثبت أنها خاطئة تماماً.

تصدر اليوم بيانات مشابهة حول الكوارث التي تسببها يد الإنسان في تغيير الطقس وتبدو مألوفة تماماً بل مبالغاً فيها بالنسبة لي بصفتي شخصاً يحلل الأخبار والمعلومات عن الطقس».

ولكن وسائل الإعلام تحب الادعاءات المبالغ فيها.

ذكرت صحيفة واشنطون بوست: «النهاية قريبة!» بسبب ذوبان الغطاء الجليدي والجموديات.

ولكن الدكتور باتريك مايكلز وهو كاتب بحث طقس عام 2003 الذي أصدرته جمعية الجغرافيين الأمريكيين أشار إلى أن ذوبان غطاء الأرتيك لا يرفع مستويات البحر مثلما لا يسبب ذوبان الثلج في شرابك طفح الكأس «إن الغطاء الجليدي في القطب هو جليد طاف... وإن ذاب.. فلن يكون كتلة أرض تضاف إلى الماء».

obeikandl.com

ومنذ عهد قريب أصبحت قصص ذوبان الثلوج موضوعاً تناقلته إذاعتا MSNBC و BBC وهي قصص عن الكارثة الآتية من ذوبان الجليديات في غرينلاند. وقال المنذرون إنه على خلاف الجليد القطبي فإن هذه الجموديات الذائبة سوف ترفع مستويات البحر حول الكرة الأرضية.

ولكن الجموديات الجنوبية في غرينلاند هي وحدها التي تذوب. أما الشمالية فهي لا تذوب. وفي تشرين أول عام 2005 أصدر العلماء النرويجيون والروسيون والأمريكيون تقريراً يقول إن جليد غرينلاند يسمك ولا يذوب.

معظم الدعاوى المروعة حول أمواج الحر والقحط تعتمد على نماذج حاسوب توهم بأنها تتنبأ بأحوال الطقس في المستقبل. ولكن نماذج الحاسوب رديئة في التنبؤ بأحوال الطقس لأن تأثير بخار الماء والغيم يسبب تغييرات لا يستطيع الحاسوب التنبؤ بها. في منتصف السبعينيات كانت نماذج الحاسوب تخبرنا أن علينا أن نتوقع برودة شاملة في طقس الكرة الأرضية.

يقول العلماء للمراسلين إن نماذج الحاسوب ينبغي «أن ينظر إليها بأقصى درجة من الارتياب».

حسناً لم لا ننظر هكذا.

ويتجاهل تجار القرار من المتعصبين العلماء الذين يقولون إن تأثير الترفع الحروري في الأرض قد يكون حميداً. تقول سالي باليوناس وهي الفيزيائية الفلكية في جامعة هارفارد إن إضافة ثاني أوكسيد الكربون Co_2 في الجو قد يفيد العالم لأن ازدياد CO_2 يساعد النبات على النمو. والشتاءات الدافئة قد تعطي المزارعين وقتاً أطول لموسم الحصاد وقد تنهي القحط في الصحارى.

لماذا لا نسمع هذا الرأي من نقاش الترفع الحروري في الأرض؟

تقول الدكتورة باليونوس: «إنها النقود!» «خمس وعشرون بليون دولار من أموال الحكومة صرف منذ عام 1990 للبحث في موضوع الترفع الحروري. إن نشر العلماء والباحثون تقارير عن أن الترفع الحروري لا يتعلق كثيراً بأفعال الإنسان وإنما بالمصير الطبيعي للكوكب فإن النقود لن تنفق على ذلك النحو لدراسة ذلك».

openkandil.com

خرافة 4: التوقيع على معاهدة كيوتو قد يوقف الترفع الحروري.
حقيقة: بصعوبة.

التقت الأمم المتحدة في كيوتو في اليابان عام 1997 وسألت الدول المتقدمة في العالم أن توقف إصدار ثاني أوكسيد الكربون Co_2 وترده إلى مستوياته عام 1990.

وحتى محامو كيوتو يعترفون أنه إن وقعت جميع دول العالم على اتفاقية كيوتو وخضعت لها فإن الحرارة في الكون ستستمر في الزيادة. الفارق سيكون في عام 2050 أقل من عشر الدرجة. إن الهياج حول كيوتو أمر مضحك حتى لو كان لكيوتو تأثير هل تظن أن جميع الموقعين سوف يحترمون توقيعهم؟ من المتوقع أن تسبقنا الصين في إصدار Co_2 خلال خمس أو عشر سنين. والهند سوف تتبعها. ما الحافز الذي سيدفعها لإيقاف استخدام وقود المستحاثات CO_2؟ اجلب الرفش.

يلمح المتعصبون من جماعة الخضر أننا لو حفظنا الطاقة وحسب وتحولنا من وقود النبات تحت الأرض إلى استخدام الرياح والطاقة الشمسية (وهم نادراً ما يذكرون الطاقة النووية وهي أفضل بديل عملي) فإننا سوف نعيش في أرض أحلام سعيدة دون ترفع حروري. إلا أن اقتراحاتهم ليست عملية أبداً.

إن بناء التجهيزات الشمسية تستنفد الطاقة ـ حين تجهيزها وتركيبها ـ ثم إنزالها لإصلاحها مرة ثانية.

إن التفكير بأن الطاقة الشمسية بوسعها أن توقف زيادة الحرارة المتوقعة على الأرض تفكير تافه. EPCOT مدينة ملاهٍ تعمل على الطاقة الشمسية وتستهلك نحو 395.000 كيلو واط في الساعة في اليوم. تقول وزارة الطاقة إنك ستحتاج إلى ألف فدان من التجهيزات الشمسية لتصدر مثل هذه الكهرباء وإن EPCOT نفسها تقع على ثلاث مئة فدان فقط، وهكذا يكون عليك أن تضاعف حجمها ثلاث مرات لتحصل على رقعة الأرض التي تحتاج إليها لتشغيلها!

ليس لطواحين الهواء تأثير فعال. إنها أدوات عملاقة لقتل الطيور وعلينا أن نبني الكثير منها كي ننتج طاقة ذات شأن.

في عام 2000 كان هناك جماعة يطلق عليها اسم Cape Wind عرضت أن تشيد 130 طاحونة هواء في نانتوكر ساوند على شاطئ ماساشوستس أظن أن رسومها جعلتها تبدو مشوقة ـ ولكنها مخيفة! ـ كان يمكن رؤيتها من الطابق الذي تقضي فيه عائلة كينيدي عطلتها في مرفأ هيانيس.

قاد روبرت كينيدي Jr الذي تبوأ عدة مناصب مهمة وكان من الحركة المتحمسة للبيئة قاد حملة لإزالة طواحين الهواء من نانتوكر ساوند.

والجماعة التي قادها وهي جماعة الحفاظ على الماء Water keeper Alliance. تقول إنها تدعم طواحين الهواء ـ ولكن كينيدي قاوم تلك الطواحين القريبة من منزله. ياله من منافق.

يأتي تسعون بالمئة من الطاقة في العالم من حرق الوقود. وقد تهلك معاهدة كيوتو اقتصاد دول العالم الثالث وتسلم الكارثة إلى دولنا.

وإذاً ماذا نصنع بتهديد الترفع الحروري في العالم؟

أولاً: التزام الهدوء.

ثانياً: إن كان العالم يسخن من الأفضل التلاؤم مع ذلك بدلاً من إيقافه: إذا كانت مستويات البحر ترتفع يمكننا أن نبني حواجز ونبتعد عن الشواطئ. وهذا نجح في هولندا. يستطيع المزارعون زراعة محاصيل مختلفة أو يتحركون نحو الشمال.

لقد زرع الفلاحون الروس شمالي سيبريا مدى قرون. وعندما أصبحت المنطقة باردة هجروها وتحرك المزارعون نحو الجنوب.

يجدر بنا أن نستمر في دراسة الترفع الحروري وندع العلم يأخذ مجراه فنتلاءم مع ما يحدث بدلاً من أن نخرب الحياة كما نعرفها بمحاولة إيقافه.

openkanal.com

أنا آسف أني أطلت الحديث عن الترفع الحروري في العالم. لقد اضطررت لذلك لأن صانعي خرافة الترفع الحروري منافقون وملّحون. على خرافة بسيطة.

خرافة: زيادة قيادة المركبات تساوي زيادة التلوث.
حقيقة: ليس المهم كم تقود ولكن ماذا تقود.

بدعة من بدع جماعة البيئة هي محاولتها تخليص العالم من السيارات. يقولون: إن قيادة المركبات هي التي تسبب كل هذا التلوث في الهواء وتخرب الرئات. يريدون أن يأخذ كل امرئ الحافلات العامة في تنقله أو يمشي أو يركب الدراجات. هذا لن يغير حياتي كثيراً. أنا عادة أركب دراجتي للذهاب إلى العمل ولكن هل على كل امرئ أن يعيش بالطريقة التي أعيش فيها أنا؟

من حسن حظكم، كلا.

ليست السيارات سيئة. صحيح أنك كلما قدت أكثر تزيد تلوث الجو. ولكن الواقع إن السيارات القديمة التي حُفظت على نحو سيئ هي وحدها الأكثر تلويثاً للجو. لأن إصدارات التكنولوجيا تحسنت جداً والسيارات الجديدة اليوم أنظف بـ 98% من السيارات التي صُنّعت في الستينيات. يقول جو نوربك وهو باحث بيئي في U.C. Riverside envronmental.

يقول «إن ما تنفثه عشرات السيارات في نماذجها الحديثة أمر لا يذكر».

أو إذاً فإن الهواء يصبح أنظف حتى لو زادت قيادة الناس للمركبات. وقد رسمت وكالة حماية البيئة خطة لتلوث الهواء لمدة 30 سنة. وأثناء ذلك الوقت ازداد عدد الأميال التي قطعت 170% ولكن تلوث الهواء زاد 54%.

وفي كل مرة نغير سيارتنا القديمة ونأخذ موديلاً أحدث نسهم في إنقاص التلوث. فإن أردت حقاً أن تساعد على تخفيض التلوث ليس عليك أن تستعمل الدراجة. ابقِ سيارتك بحالة مناسبة والأفضل أن تشتري سيارة جديدة ودع العم جون يصلح سيارته القديمة القذرة.

obeikandl.com

خرافة: لابد أن علم التنجيم فيه شيء من الحقيقة وإلا لم يؤمن ملايين الناس به.

حقيقة: ملايين الناس يؤمنون بأشياء مضحكة.

علم التنجيم علم ضخم. اطلب الكلمة في Google في الإنترنيت ويظهر لك أكثر من ثمانين مليون موقع والمنجمون الناجحون يجنون ألوف الدولارات وهم يكشفون الطالع للزبائن. يحلف الناس بهم ـ يحلفون أن المنجم يعرف من الأمور «ما لا يعرفها أحد!» ويحلفون أن المنجم يتنبأ بأمور تحدث في الواقع فيما بعد فكيف يمكن أن يكون الأمر مضحكاً إذا كان العديد من الناس يؤمنون به؟

ذلك لأن بعض الأشياء تنطبق على معظم الناس، مثلاً، 95 بالمئة من الأمريكيين يعتقدون أن لديهم «حس الفكاهة أعلى من المعدل» وحين يقول المنجم ذلك لهم يظنون أنه يتحدث عنهم بالذات. كذلك هم يضعون ألفاً من التوقعات للمستقبل.

ويميل الناس إلى نسيان التوقعات الخاطئة ولكنهم يتذكرون «الناجحة» (انظر الوسطاء ص).

عرفت مرة منجماً وضع مخططاً لحياة إد كمبر E. kemper وهو قاتل ومحب للجثث في كاليفورنيا قتل ست نساء من اللواتي يوقفن السيارات في الطريق ويركبنها مجاناً كما أنه قتل أمه. ثم أعطيتُ هذا التقرير الذي وضعه المنجم عن حياة ذلك الشخص ويقع في خمس وعشرين صفحة إلى طلاب في الجامعة، وأخبرتهم أن ذلك يتعلق بطالعهم وحياتهم (وكنت جمعت تواريخ أعياد ميلادهم من قبل). معظمهم تأثر. وقليل منهم كانوا «مندهشين» كيف أن المنجم استطاع أن يعرف الكثير عنهم. وقال البعض إنهم كانوا مرتابين في علم التنجيم من قبل ولكن قراءة طالعهم بالتفصيل هذا جعلهم جميعاً مؤمنين بعلم التنجيم. بعد ذلك أخبرتهم أن ذلك لم يكن طالعهم وإن جميع الطوالع متماثلة. وأخبرتهم من كان «كمبر Kemper ذاك. وكانت «لقطة تلفازية» جيدة.

obeikandl.com

سألت المنجمة سوزان ميللر أن تكشف طالعي. تكتب ميللر أعمدة فلكية في المجلات، ولها موقع في الإنترنت يُشاهد خمسة عشر مليون مرة في الشهر. وقد وضعت لي مخططاً طوله اثنتان وعشرون صفحة مع ملاحظات مثل: «إن جوبتر معك في سابع بيت لك، وهكذا أنت تعمل بشكل جيد مع شركاء، أناس يعملون معك كي يساعدوك».

إلى ما هنالك إلى ما هنالك. وحين يقول أحد الناس شيئاً مثل هذا في اثنتين وعشرين صفحة فإنهم حريصون أن يعثروا بالمصادفة على أمر قد يقع. فتقول: «أوه هذا أنا في الحقيقة!» إنه ما يدعى في الحرفة «قراءات باردة». والمنجمون يضيفون كثيراً من المديح لأننا نكون سعيدين بأن نسمع أموراً طيبة عن أنفسنا.

سوزان ميللر: عندك فينوس في البيت العاشر، تجعلك زعيماً شعبياً أو شخصية مهمة. هل تريدني أن أستمر (وتضحك).

ستوسل: استمري.

سوزان ميللر: بالإضافة إلى ذلك هذه الكواكب الثلاثة في برج الحوت تجعلك حدسياً جداً.

ستوسل: هذا غباء. إن ما تقولينه عني يمكن أن تقوليه عن أي إنسان. إن كنت تستطيعين أن تتوقعي هذا لماذا أنت لست غنية؟ لماذا كل المنجمين ليسوا أغنياء؟

سوزان ميللر: لأني من برج الحوت وأنا لا آبه بالنقود. وأصرفها كلها.

حسناً سوزان أعط كل نقودك. إن كان بإمكاني مساعدتك سأعيرك رفشي.

خرافة: المشعوذ الساحر له تأثيرات حقيقية

حقيقة: فقط إذا آمنت أن له تلك التأثيرات

ينظر ملايين الناس إلى المشعوذ الساحر أيضاً بجدية. إنهم يدفعون لكاهن الشعوذة أموالاً لكي يشفيهم أو لكي يؤذي أناساً آخرين. وهذا ينجح في نظرهم. إذ يحسبون أن كهنة الشعوذة لابد أنها لعنت الناس الذين مرضوا مباشرة وماتوا. ولكن ذلك ليس من السحر في الشيء إنها فقط قوة الإيحاء. وكما أن هناك ما يدعى

تأثيراً وهمياً فهناك شيء يدعى تأثيراً سيئاً nocebo إنه التوأم الشرير للتأثر الوهمي Placebo. أخبر بعض الناس أن أمراً سيئاً سوف يحدث يمكن أن توحي إليهم نفسياً بأن يجعلوه يحدث.

يقول الكاهن الساحر إنك سوف تمرض ثم تمرض فعلاً. يقول البعض هذا هو موضوع متلازمة حرب الخليج. فقد ادعى آلاف من الجنود أن الخدمة أثناء حرب الخليج الأولى في الخليج الفارسي (العربي) جعلتهم مرضى. وكان لديهم أعراض حقيقية، آلام رأس وتحسس ونعاس إلخ... ولكن أكثر الدراسات كشفت أنه لا يوجد جراثيم أو مواد كيميائية يمكنها أن تفسر كيف تسبب الحرب هذه المتلازمة. إن كانت كما يدعون سببها الكيميائيات فإنك تتوقع أن يكون الجنود الأقرب إلى ساحة المعركة أكثر مرضاً. ولكن الجنود البعيدين عن الكيميائيات يشكون من الأعراض أيضاً.

يظن علماء النفس أن الدعاية حول الغاز السام العراقي والبيئة المسممة وشهادات جنود آخرين أصيبوا بالمرض ربما كانت سبب أعراض حرب الخليج.

إن كنت تصدق حقاً أن الكيميائيات سممتك أو أن لعنة كاهن السحر لها قوة فقد ينهار جسمك تماماً.

إن ذلك من يمن الطالع بالنسبة لي أني لا أؤمن بذلك. إن الإنسان ينبغي أن يؤمن باللعنة لكي تؤثر فيه. من أجل حلقة من البرنامج وضعنا عنواناً «قوة الإيمان» واستأجر المنتجون الذين يعملون معي كاهناً ساحراً يدعى المر غلوفر لكي يضع اللعنة علي واقترحوا عليه «كسر عظمة من عظامي». طلب غلوفر أن يرسل إليه عينة من شعري وأظافر أصابعي وشيئاً من ملابسي كنت لبسته مدة. وقد حفر بعد ذلك اسمي على شمعة وحملها إلى مقبرة في نيو أرليانز. وخلط هناك شعري وأظافري ثم من أجل أن ينادي أرواح الموتى بخّ بعضاً من مشروب الروم، ونفخ دخان سيجار على شجرة في مركز حديقة المقبرة وعلق ملابسي على الشجرة كي تجدني الأرواح ثم أشعل الشمعة ودعا الأرواح لكي تؤذيني. وكان الأمر مروعاً أن تسمع كيف نادى أن تنزل اللعنة بي.

المر غلوفر: جون ستوسل! جون ستوسل! أنا أستغيث وأدعو أرواح السحرة الكهنة أنا أدعو جميع كائنات السحر لكي تساعدني.

لقد مضى عدة سنين ـ وحتى الآن لم تنكسر عظامي. لو انكسرت عظمة سأتذكر المر غلوفر وأعجب.

خرافة: إن كان هذا حدث في مستشفى فلابد أنه علم.
حقيقة: ليس ذلك بالضرورة.

هناك أمر يصدمني مشابه لموضوع (السحر). يمارس اليوم كاتجاه سائد في مشافي أمريكية. ويسمى «اللمسة العلاجية».

في مستشفى كونيكتيكت جعلتنا الممرضة أن مينور نشاهدها وهي «تعالج» امرأة مصابة باللوكيميا. جعلت يديها على بعد ثلاث أو أربع إنشات من المريضة لتشعر بالطاقة وقالت: «أستطيع أن أشعر أين تكون الطاقة متوازنة وأين تكون غير متوازنة».

ثم وفقاً للنظرية وجّهت «الطاقة الشافية للكون» من خلال يديها إلى المريضة. قالت لنا المريضة لا يهمني إن كان لا يوجد دليل على أن اللمسة العلاجية تنجح. قالت: «أنا لا أحتاج إلى تفسيرات لأن عندي إيماناً بالعملية» وأردفت: «إن هذا حقاً أمر رائع حين ينقذك من شعورك باليأس والخوف».

من الصعب أن تناقش مرضى راضين. ولكن قبل عدة سنين قدمت فتاة في التاسعة من عمرها في كولورادو وظيفة علوم في الصف الرابع وكانت تجربة حول اللمسة العلاجية. اسم الفتاة إيميلي روزا وكان اختبارها سهلاً: طلبت من المعالجين أن يشعروا بالطاقة من يدها. ولكنها استعملت منشفة لتخفي يديها عن عيون المعالجين. ولم تسألهم إيميلي أن يشفوا أي شيء. بدلاً من ذلك سألتهم أبسط سؤال: «قل لي فوق أية يد من يديك أضع يدي؟» فشل معالجو اللمسة في هذا الاختبار المرة تلو الأخرى. كان يمكن أن يحصلوا على 50 بالمئة من الإجابات الصحيحة من الحزر فقط ولكنهم لم يستطيعوا حتى الحصول على 50 بالمئة.

ستوسل: وإذاً هل شعروا بالإحراج؟

إيميلي روزا: لا أبداً في الحقيقة. بعضهم فكر أنهم إذا حزروا 4 مرات من 10 سينجحون في الاختبار.

من الواضح أنهم لا يعرفون قواعد الإحصاء. ونُشر اختبار إيميلي في المجلة المشهورة التي تصدرها الجمعية الطبية الأمريكية ـ ولكن ليس بدون آثار سلبية كما قد تتصور. إن العلاج باللمسة العلاجية الآن له مئة ألف ممارس وهو يزدهر.

يتمنى الناس أن يعتقدوا أن ما فوق الطبيعة أمر قوي يؤثر في حياتهم.

خرافة: تستعمل الشرطة وسطاء للبحث عن الجثث. ولذا ينبغي أن يتحلى الوسطاء بملكات خاصة.
حقيقة: الشرطة تُخدع أيضاً.

إن كنت يائساً فإنك تجرب أنواع الأشياء كلها بما فيها أن تذهب إلى وسيط. لقد ذهبت كاتي كوبكا إلى عدة وسطاء.

قالت: «كنت صغيرة ومجنونة، أنت تعرف، ومع اليأس الذي كنت أعانيه وكل ما كنت أريده هو أن أجدها».

أفهم لم كانت كاتي منزعجة: لأن أختها الأصغر اختفت. لقد خصصت مكافأة ضخمة تبلغ 25.000 دولار. وبعد وقت قليل أخذ الوسطاء يرسلون إليها رسائل ـ أي رسائل من وراء المعقول. يقولون في الرسائل: «أنا أعرف أين أختك» وصاروا يبعثون إليها بموضع تلو موضع، وكانت تذهب ولا تجد أثراً لأختها.

وأُخبرت كوبكا أن تتصل بسيليفيا براون، وهي إحدى أشهر الوسطاء في أمريكا. يقول موقع براون على الإنترنيت: «الزيارة هنا تفسر معنى الحياة».

قالت إنها توقعت أن زواج براد بيت وجنفر آنيستون لن يدوم. واو. يالها من موهبة في التنبؤ. كيف لأي شخص أن يتوقع ذلك؟ كانت براون تدعي أنها تستطيع أن تكلم

obeikandl.com

الموتى ثم يخبرها الموتى أين يوجد المفقودون. وهكذا دبرت كوبكا إن تأتي إلى التلفاز حين كانت براون تعرض مهاراتها. قالت كوبكا: «كنت مفعمة بالأمل». «كنت على شبه يقين أني سأجد أختي».

وقالت براون بسرعة على البرنامج إن أخت كوبكا ميتة في نيو مكسيكو وهي تتصل ببراون.

كاتي كوبكا: هل ترانا؟

سيلفيا براون: أوه بالتأكيد أعني هذه هي الطريقة الوحيدة التي أستطيع أن أحصل بها على المعلومات.

عودة إلى هذا العالم. استقصت الشرطة مبادرة براون. وكانت وهماً وسراباً.

قالت لي كوبكا: «كان أمراً مدمراً لي واليأس يجعل الناس يقومون بأعمال لا يقوم بها الناس العاقلون».

سألت أخبار ABC براون أن تتكلم معنا حول هذا الموضوع. وافقت في البداية ثم تراجعت في آخر دقيقة. كانت قد أخبرتنا أنها حلت ألوف الحالات. ولكن قبل عدة سنين فحصت إحدى المجلات خمساً وثلاثين حالة من «قضايا» براون ولم تجد أي برهان على أن براون حلت أية واحدة منها.

على الأقل لم تطلب براون من كوبكا أن تدفع لها نقوداً.

يقول مايكل شيرمر رئيس تحرير مجلة Skeptic إن شيئاً ما أقل سحراً من قدرات الوسيط هو مسؤول عن افتتان ضباط الشرطة بالوسطاء.

أخبرنا أن «هؤلاء الضباط يخطؤون في تذكر ما صح من قول الوسيط وما فاتته معرفته».

يقول شيرمر: «الوسطاء يذهبون إلى قسم الشرطة» «يعطون الكثير الكثير من الإفادات» يقولون مثلاً: «لقد شاهدت الجثة في الأدغال، الجثة هناك مع بعض الماء وآثار سكة حديد. ولكن عندما تظهر الجثة يسترجع الضباط ما قاله الوسيط من

obeikan.com

عبارات ليجدوا إن كانت تطابق ماحدث فعلاً. (نعم لقد قال الوسيط شيئاً عن سكة الحديد) ولكن الوسيط قال شيئاً عن مئات الأمور الأخرى». يقول الوسيط غالباً الجثة «بالقرب من ماء» ولكن الماء قد يعني المحيط أو النهر أو البركة أو الحمام أو أنابيب تحت الأرض أو أي مكان آخر. إذا وجدت الجثة في البركة قد يقول أحدهم: «واو قال الوسيط (بالقرب من الماء)».

ذهبت أخبار ABC إلى وسيط آخر تدعى كاتلين ريا قال بعض ضباط الشرطة إنها ساعدتهم على كشف مكان الجثث.

تدعي ريا أنها تجد الأناس المفقودين دائماً –تجد ثلاثة أو أربعة كل أسبوع. وتؤكد FBI أن الوسطاء لم يعينوها أبداً في حل مشكلة شخص واحد مفقود.

كانت ريا تطلب مبالغ كبيرة وقد سعت (أخبار ABC) أن تحصل على سعر مخفض منها وكان السعر 1.800 دولار.

حينئذ أخبرت كوبكا أن كريستين قتلت، وكانت ريا على ثقة أنها تعلم أين كانت توجد جثة كريستين: اذهبي ثلاثين ميلاً شمال جوار كريستين القديم وابحثي عن طريق يتفرع مثل حرف Y تجدين بناء يشبه كنيسة ريفية وشيئاً مثل حرف S. تابعنا تعليماتها باستعمال خرائط واتصلنا بالشرطة وبعد عدة رحلات تبين أن هناك مئات من حرف Y وحرف S في الطريق وجميع أنواع الإشارات مع حرف S. وحين شكوت إلى ريا حول ذلك قالت: «ماذا تريدني أن أفعل هل أنا جامعة معلومات أمشي من مكان إلى آخر؟» وأجهشت كاتي بالبكاء حين تبين لها إخفاق وسيط آخر.

قالت كوبكا: «لقد تحطم قلبي».

إن الوسطاء لا يعرفون ولكنهم يحطمون القلوب.

خرافة: إذا ركزت ذهنك بوسعك أن تمشي على فحم محترق دون خوف.

حقيقة: لا علاقة لذهنك بهذا.

obeikandl.com

سمعتم كيف أن المتصوفة يستعملون أذهانهم ليوقفوا الألم وينجزوا مهمات مستحيلة، مثل السير على فحم محترق؟ حسناً أنا لا أستطيع أن أكفل كيف يفعل المتصوفة ذلك، تجاوز ذلك: أنت تستطيع أن تمشي فوق فحم حار إذا أردت، أنا أعرف لأني فعلت ذلك.

من أجل برنامج: «قوة الإيمان» ذهبت إلى جونستون في بنسلفانيا حيث يوجد «أطول ممشى نار في العالم» نظمه ديفيد ويلي. إنه ليس متصوفاً بل يدرّس الفيزياء في جامعة بتسبورغ ودعانا أن نمشي على الفحم المحترق لكي يبرهن أنه لا يوجد أي تصوف في ذلك. وكان قد سمع القصص: عليك أن تركز، أن تتأمل، أن تركز على الله أن تركز على السلام إلخ...

ديفيد ويلي [يقولون]: «إن أضعت تركيزك فإنك سوف تحترق» ذلك أن الجسم يضع مجالاً من حولك.

ستوسل: هل ذلك هراء؟

ديفيد ويلي: هراء كلمة يمكنك أن تستعملها. نعم.

وضع ويلي ألواح خشب بطول 165 قدماً وأشعل فيها النار وعندما كنا جالسين ننتظر ألواح الخشب كي تتحول إلى فحم محترق قال أي إنسان يستطيع المشي على النار بقدميه الحافيتين مع استمرار التحرك، لأنك حين تمس الخشب المشتعل أو الفحم المحترق فإن الحرارة لا تصل فوراً إلى قدميك. إنك تحترق إذا سرت على معدن حار ولكن الخشب والفحم لا ينقلان الحرارة جيداً.

أردت أن أصدقه ولكني كنت خائفاً. أنا أقمّر (المارشمالو) على الفحم.

ستوسل: لماذا لن أحترق؟ أعني هذا حار كفاية لأن يقمّر المارشمالو.

ديفيد ويلي: لن تحترق لأن الخشب ضعيف النقل للحرارة.

ستوسل: كم هي الحرارة الآن فيه؟

ديفيد ويلي: نحو ألف درجة فهرنهايت.

ستوسل: وليس عليّ أن أؤمن بأي شيء أو أنشد أي شيء؟

obeikandl.com

ديفيد ويلي: ليس عليك، ليس عليك أن تؤمن بأي شيء. ليس عليك أن تنشد أي شيء. مشية لطيفة ثابتة تمشي على النار وحسب.

جعلته يمشي أمامي أولاً وحين لم يصرخ ذهبت وراءه كان على حق لم أحترق ولم يحترق خمسة عشر من الناس الذين حطموا الرقم القياسي العالمي في المسافة التي قطعوها في ذلك اليوم: 165 قدماً على الفحم المحترق.

خرافة: السيارات الحمر تجتذب الشرطة ويكلف تأمينها سعراً أغلى.
حقيقة: إنها خرافة شائعة في المدن.

السيارات الحمر هي ملكة السيارات في العالم. ألصق بها تهم بدون عدل مدى سنين: السيارات الحمر سوف تجعل الشرطة تجرك على نحو أسرع وسوف تكلفك أكثر من قسط تأمينها. يعلن مزود التأمين على الإنترنيت المسمى Esurance.com «إن سائقي السيارات المنطلقة كسرعة البرق وخاصة السيارات الحمراء يرجح أن يعاقبوا على السرعة أو على المخالفات الأخرى».

ولكن هذا كلام شائع في المدينة فقط.

يقول معهد معلومات التأمين إن السيارات الحمراء لا يكلف تأمينها بعد الآن أكثر من تأمين السيارات الزرقاء والسوداء والخضراء أو ذات اللون الأخضر الضارب إلى الصفرة. حتى Esurance عندما خابرناها قالت إن اللون لا يهم. وتعتمد الأقساط على البيانات المجموعة من التجارب السابقة عند ملايين الزبائن، مثل العناية الطبية وأسعار تصليح السيارات، ومدى إمكانية سرقة السيارة، وعمر وتجربة السائق وأين يعيش السائق. هناك سبب واحد يجعل السائقين في نيو جرسي يدفعون تأميناً أعلى ألا وهو:

أن نسبة عدد المحامين لكل شخص في نيوجرسي أعلى منها في أية ولاية أخرى والسائقون هناك أكثر دخولاً في دعاوٍ قضائية حين وقوع الحوادث.

إن شركات التأمين تفعل ما بوسعها لتقليل الخطر. وحقيقة أن السيارات الحمراء لا تكلف كلفة إضافية في التأمين يدل على أنها ليست أكثر خطراً حين قيادتها.

هل حقاً أن السيارات الحمراء هدف لافت لنظر دورية الشرطة؟ يعتقد الناس ذلك. علقت لوحة النشرات التي تناقش هذه المسألة في الإنترنيت: «منذ اشتريت سيارتي الساتورن Saturn الحمراء أخذت الكثير من بطاقات المخالفة.. أنا منزعج جداً... ومستعد أن أدهن سيارتي بلون آخر».

اتصلنا بست وكالات شرطة في الولاية وكل وكالة قالت إنه لا يوجد دليل كلامي أو علمي على أن السيارات الحمراء أفرد لها انتباه خاص. أخبرنا السرجنت بيل كرامبتون من شرطة ولاية كنتيكي: «إنك دائماً تسمع ذلك. ولكن ذلك ليس صحيحاً على الإطلاق ـ وهذا مدوّن».

خرافة: المعالجة بالمثل هي علاج جيد للحساسية وللأنفلونزا.
حقيقة: المعالجة بالمثل سخيفة مضحكة.

المعالجة بالمثل هي شكل آخر من الطب البديل «الطبيعي» وهو شائع جداً. ويدعي أطباء المعالجة بالمثل أن بوسعهم أن يشفوا الأمراض بإعطاء الناس جرعات ضئيلة من المواد التي سببت المرض. ويقولون إن هذا يحرك جهاز المناعة كي يقاوم الأنفلونزا والنزلات والتحسس وأمراض أخرى.

كثير من الناس يؤمن بهذا النوع من الطب البديل.

تستعمل مارتينا نافراتيلوفا طب المعالجة بالمثل. وكذلك تفعل جلالة ملكة إنكلترا التي لها طبيبها الخاص في المعالجة بالمثل. المشكلة أن المعالجة بالمثل ليس لها معنى منطقي. تذكر المعاهد الوطنية للصحة عدداً من المفاهيم الرئيسية للمعالجة بالمثل ألا وهي «لا تتبعوا قوانين العلم وخاصة الكيمياء والفيزياء».

openkanal.com

تمدد منتجات المعالجة بالمثل إلى درجات سخيفة. نقطة واحدة من الدواء في 99 نقطة ماء ويسمونها «1C». هم يحتفظون بالتمديد حتى «12C» وكأنها نقطة في المحيط الأطلسي. وحين يجعلونها «16C» تصبح كأنها نقطة في محيطات مليون أرض. ومع ذلك فإن أكثر سلعة رائجة وهو دواء للأنفلونزا ويدعى: Osciallo coccium هو ممدد في 200C.

أجريت مقابلة مع المؤلف دانا أولمان حول المعالجة بالمثل. وهو أول من تحدث بهذا الموضوع ووضع سبعة كتب حوله.

ستوسل: كلما مددتم الدواء يصبح أقوى تأثيراً؟

دانا أولمان: لا يصبح الدواء أقوى وحسب بل نحتاج إلى جرعات أقل من الدواء.

ستوسل: تقول وكالة الغذاء والدواء إن بعض هذه الأشياء لا يبقى فيها مثقال ذرة من الدواء.

دانا أولمان: في جميع الاحتمالات لا يبقى في الدواء أي ذرات ولكن الماء يتشرب بالمادة الأصلية من المعلومات أو من الذاكرة.

ستوسل: وهل الماء يتذكر؟

دانا أولمان: نعم.

الماء يتذكر! هل يتذكر أين تركت رفشي؟.

هل لدى الماء عواطف؟ هل يمكن أن يصبح حزيناً؟ هل كان جواب جيمس راندي على ادعاء أولمان جواباً بارعاً؟

راندي كان في السابق ساحراً ثم تحول إلى رجل مرتاب مهنياً. وهو على خلاف أكثر المؤمنين بالمعالجة بالمثل وبالوسطاء وبالتنجيم إلخ. يضع نقوده حيث يكون فمه. تقدم مؤسسته مليون دولار لأي شخص يبرهن على أن أي ظاهرة خارقة أو فوق طبيعية تنجح. مليون دولار! مع كل أولئك الشافين بالإيمان ومع المنجمين وقراء الورق Tarot card الذين يقدمون كل أنواع الادعاءات كنت أظن أنهم يتوقون أن يختبرهم راندي. ولكنهم قلما طلبوا ذلك ـ ربما لأنهم لا يريدون اختباراً «علمياً». لقد كان يقدم المال منذ عام 1997 ولكن لا أحد جمع مليون دولار بعد.

obeikandl.com

قال راندي إنه يمكن أن يعطيني مليون دولار إذا استطعت أن أبين أن المعالجة بالمثل تنجح. وأنا طماع مثل غيري وقال دان أولمان إنه كان يعرف اختباراً يثبت قدرات المعالجة بالمثل وفكرت أن من الممكن أن نعطيه تلك المحاولة. قال أولمان يمكن أن نختبر كريات الدم البيضاء وكان واثقاً جداً: «إن جرعات المعالجة بالمثل من الهستامين يمكن أن يكون لها تأثير درامي في كريات الدم البيضاء، تلك الخلايا المتعقدة (خلية سريعة الاختضاب بالأصباغ القاعدية)، وإنها يمكن أن ينقص عددها».

أطلقنا تلك الصيحة في أوربة، حيث ادعت اختبارات مشابهة أنها تجد هذا النوع من التأثير. أعدّ العلماء في مشفى Guy في لندن عيّنات من نموذج الهستامينات التي ينصح بها دانا أولمان. واختبروا 400 عينة ورأوا تأثيرها على كريات الدم البيضاء. استغرق الاختبار أسبوعاً. تثبت ثلاثة معالجين بالمثل أن التمديد تم بشكل مناسب. وأخيراً وبعد خمسة أيام من الاختبار أحضر لنا النتائج ج. مارتن بلاند أستاذ الإحصاء الطبي.

هل وجدنا أن الماء له ذاكرة؟ هل ربحت مليون دولار؟

قال دكتور بلاند: «أظن لا» «لا يوجد أي دليل على الإطلاق أنه يوجد أي فرق بين الأقنية.. يستطيع السيد ستوسل أن يودع مليون دولاراته بالقبلات».

ومن المحزن أن الأمريكيين يودعون العديد من الملايين بالقبلات. كل سنة تبيع الشركات بملايين الدولارات أدوية معالجة بالمثل.

خرافة: التنويم المغناطيسي الطبي هو غش آخر.
حقيقة: أعمال التنويم المغناطيسي ليتك تتركها.

حين يقنعني حدس الارتياب عندي فإني أعرف الهراء حين أراه. لقد أصابني الجنون كنت أفترض أن التنويم المغناطيسي في الطب كان أحد ألعاب الخداع الأخرى.

كنت أرى تلك الإعلانات الواعدة. «إن المعالجة بالتنويم المغناطيسي سوف يساعدك على إنقاص وزنك!» بلا مزاح، لو كان ذلك ينجح لما رأيت جميع هؤلاء البدينين من

حولك. يدعي المنومون المغناطيسيون أيضاً أن بوسعهم أن يساعدوا الناس على وقف التدخين. هذا جدير بالتصديق ـ أظن إذا كانوا يستطيعون أن ينوموا مغناطيسياً الناس ليجعلوهم يقرقون مثل الدجاج، كما يفعل المنومون المغناطيسيون في النادي الليلي فلا بد أن يكونوا قادرين على مساعدة الناس كي يقل ولعهم بالسجائر. وهكذا استعملت نقود ABC لأختبر نصف دزينة من التقنيات المضادة للتدخين ووجدت أن المدخنين الذين ذهبوا إلى المنومين المغناطيسين لم يحرزوا نتائج أفضل من الذين لجؤوا لتقنيات أخرى أو تركوا فجأة التدخين ومعظم المدخنين المنومين مغناطيسياً كانوا يعودون إلى التنفيخ خلال شهرين.

حين كنت مراسل تلفزيون شاباً في بورتلاند من أوريغون ناداني منومون مغناطيسيون ليقدموا لي علاجاً للفأفأة عندي. جميل أن يظهر المرء في التلفاز يأتون الناس إليه من «الأشغال الخشبية» Wood work ويقدمون له علاجات. لقد جربت منومين مغناطيسيين وعدا أن بوسعهما شفائي. وفي المرتين بعد المعالجة ظللت أفأفئ كالسابق. (والذي أعانني في النهاية على الكلام كان حضور دروس مدة ثلاثة أسابيع في معهد هولنز لبحوث التواصل بالكلام أو بغيره).

ولكن نفعاً آخر حظيت به من عملي وهو أني كنت ألاقي تحديات بشكل منتظم. وقد لقي رأيي في التنويم المغناطيسي منافساً كَفُؤاً في شخص امرأة تزن ثمانية وثمانين باوند وتدعى كاتي بلاتوني وهي من دايتون في أوهايو شاهدتها وهي تخضع لجراحة مؤلمة دون تخدير.

ولدت كاتي مع عيوب في العظام جعلها تمضي خمسة عشر عاماً تحاول تصليحها. والجراحة التي حضرناها كانت عملية ليزر للوجه لجروح حرق من جراحات سابقة. تحملت كاتي سلسلة من العمليات على مدى سنين وكانت هذه العملية رقم خمسين ـ وكان عندها متاعب إن استعمل لها التخدير المعتاد.

قالت لي: «عانيت من صعوبات في الشفاء بعد الجراحة» وأردفت «كان يستغرق ذلك مدة سنة لأشفى من التذكر وكان ذلك مدمراً لي».

ولكونها عالمة نفس تستعمل التنويم المغناطيسي مع مرضاها كانت تؤمن أن التنويم المغناطيسي يمكن أن يحل مشكلتها. أقنعت جراحها أن يقوم بأمر لا يقوم به عادة ـ وهو إنجاز الجراحة دون تخدير لا عام ولا موضعي. كان الدكتور مرتاباً قائلاً إن العملية تولد ألماً مبرحاً قال لها «إنها مؤلمة جداً وكأن عود ثقاب يذهب ويغدو على وجهك» «إنها تؤلم» ألح الجراح على أن يقف مخدراً بالقرب منه أثناء أجرائها.

شاهدنا حين نوّم كاتي المعالج بالتنويم المغناطيسي جون بارن وكان يخبرها أنه يخدر يدها بوضعها في دلو خيالي من الثلج. قال لها بلطف: «خذي يدك اليمنى وضعيها على خدك الأيسر» تتخدر جميع المناطق بشكل كامل كلي». وقال إنها قد تشعر بشعور عائم مندفع وكأنك تعومين على غيمة آمنة مطمئنة.

فعلت ذلك في غرفة العمليات وبين كل أنواع المشاهد المخيفة والأصوات ـ كان الليزر يحرق بكل معنى الكلمة عدة ثنيات في الجلد ـ وكان عقل كاتي على بعد أميال من هناك. وقريباً من نهاية العملية دخل قطع عميق بشكل خاص غشيتها. وبدأت تشعر بالألم ولكن جون بارن قادها ثانية إلى القطب الشمالي بكلمة تخيلية فتمتم «جليد أزرق فولاذي» مثل جليديات القطب الشمالي فهربت كاتي مرة ثانية وتراجع الألم.

وبعد العملية وصفت لنا لجوءها إلى التنويم المغناطيسي. قالت لي: «كان يوجد جبال جليدية عائمة وأنا واقفة على واحدة آمنة تماماً» «وكانت السماء بنفس زرقة الماء الملكية العميقة. كنت أرى أواه نحو مئة بطريق تقترب مني وكأن من المفروض أن تكون هناك لمساعدتي فيما أمر به».

لقد مرت بالجراحة معتمدة على التنويم المغناطيسي وحده.

كنت ما أزال مرتاباً. لعل ذلك كان نوعاً من الأمر المرتب المصمم (مع أني لم أكن أستطيع أن أتخيل كيف يتم ذلك) هل يمكن أن يتم النجاح إذا اخترنا المريض نحن؟

اخترنا ستيف نورثلنجر وهو مريض بأسنانه من نيويورك. اخترناه لأنه كان حساساً جداً للألم. كان عنده نخر عميق يحتاج إلى كثير من الحفر والذي كان بالنسبة لستيف يحتاج إلى الكثير من نوفوكاين.

وشاهدناه يسير في العملية بدون ارتعاش يقوده جويس هانسون المعالج بالتنويم المغناطيسي.

ستوسل: كيف سار الأمر؟ ماذا فعل العقل؟

جويس هانسون: ما يفعله العقل بشكل أساسي هو تحويل إحساسه إلى معرفة.

ستوسل: وإذاً فإن الألم الذي يحدث في نهايات العصب لا يصل أبداً إلى جزء الدماغ الذي يخبره أنه مؤلم؟

جويس هانسون: هذا صحيح لأنه يختار أن يفكر في شيء آخر. ربما شيء مثل أشعة الشمس التي تظهر من وراء السحاب وتولد إحساساً رائعاً بالاسترخاء.

يقول المنوم المغناطيسي إن التنويم المغناطيسي هو تنويم مغناطيسي ذاتي. إنهم لا يستطيعون أن يجعلوا المرضى يقومون بأي شيء لا يريدون القيام به. إن المنومين المغناطيسيين هم مرشدون يعطون النصيحة ولكن يجب أن يملك المنوّم الرغبة في الإنصات لهذا النصيحة. وربما لهذا السبب يستمر المدخنون في التدخين والشرهون في تناول الطعام. والإيحاء الذاتي ليس بديلاً عن الاقتناع. والمعالجة بالتنويم المغناطيسي لا تصلح لكل شخص. ولسوء الحظ لا تصلح لي.

ولكن مرة ثانية، تعلمت إن ما أظنني أعرفه ـ قد لا يكون كذلك.

obeikandl.com